كتاب "تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب" للقسّ إنسيلم ترميدا المشهور بعبد الله التّرجمان. المحتوى والرّسالة

د. وِيدْرَاوْغُو إِنُوسَا[1]

الملخّص:

الوقوف على بعض محطّات التّاريخ، لا يطمئن الإنسان في دينه فقط، بل يساعده أيضًا على أن يكشف مدى قوّة هذا الدّين وصلابته أمام كلّ التّحدّيّات عبر القرون، سواء كانت تحدّيّات الوثنيّين، أو تحدّيات اليهود أو تحدّيات النّصارى. وإذا كان اليهود قد تحدّوا الإسلام واعتزّوا بكبار علمائهم فسلّ منهم الله أعلم علمائهم وهو عبد الله بن سلام وأدخله في الإسلام، ثمّ انقلبوا على أعقابهم يقولون عكس ما كانوا يقولون فيه، فأسقطوا أمام أنفسهم بالفضيحة، فإنّ عبد الله التّرجمان، كان يمثّل نفس الشّخصيّة عند النّصارى وحصل له ما حصل لعبد الله بن سلام تماما في قصّته هذه. وهذا البحث يأتي لتقريب صورة كتابه الموسوم بـ "تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب" والّذي يبيّن فيه سبب توبته الّذي هو نفس سبب تأليفه لهذا الكتاب، كما يردّ فيه على النّصارى في مختلف مسائلهم العقديّة بأدلّة من كتبهم....وقد قسّمته إلى مقدّمة وثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأوّل: ترجمة المؤلّف ووصف كتابه، والمبحث الثّاني: في محتوى الكتاب، والمبحث الأخير: في رسائل الكتاب، ونظرا لأنّ طبيعة البحث هو وصف لمحتوى هذا الكتاب واختصاره للقارئ، فإنّ المنهج الّذي اختاره الباحث للنسج على قالبه، هو المنهج الوصفي. وقد آثرت فيه إبقاء العزو إلى الأناجيل الأربعة على الصّيغة الّتي أوردها المؤلّف في كتابه فقط؛ أي ذكر المرجع وعدد الصّفحات بالحروف بدل الأرقام. وممّا يتوصّل البحث إليه من نتائج، هو أنّه يزيدنا قناعة بالآيات القرآنيّة وفهمها حين تتكلّم عن اليهود والنّصارى، منها"ولن ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتّى تتّبع ملّتهم"، ومنها:"...ولتجدنّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى"، كما أنّه يؤكّد لنا صلابة الدّين الإسلامي وقوّة أدلّته في مواقف التّناظر والمقارعة بالحجج، بينما الظّاهر من دين النّصارى خلوّه عن هذه القوّة مع اشتماله على التّناقضات الكثيرة الّتي تجعل المناظر منهم لا يقوى في ميادين التّناظر. وعلى هذا

[1] Jabatan Bahasa Arab, Fakulti Pengajian Islam, UnIPSAS, Pahang, Malaysia. yunus@unipsas.edu.my. Diterima; 29 Oktober 2024. Disemak; 4 Disember 2024, Diterbitkan; 31 Disember 2024.

فمن الأهمّية جدًّا بمكان، أن تتضافر الجهود الإسلاميّة لدعم وتقوية الأنشطة الّتي يقدّمها بعض الدّعاة في مجال مقارنة الأديان.

الكلمات المفتاحيّة:

الإسلام، المسيحيّة، التّوبة، الأربعة الّذين كتبوا الأناجيل، الاختلاف، كذب، افتراق، فساد.

مقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين، أمّا بعد:

فقد باتت القناعة الّتي ترسّخت عندي مع العمر ومع متابعاتي الكثيرة للأنشطة الدّعويّة في بلادي، أنّه يجب على كلّ داعية وكلّ غيور على الإسلام أن يكون له قدر لا بأس به من الاطّلاع على الكتب الّتي تهتمّ بمقارنة الأديان المؤلّفة من قبل علماء ثقات وخبراء مجرّبين عبر التّاريخ، وإنّ هذا البحث يأتي ليلبّي هذه الدّعوة ويساعد على اكتشاف كتاب من أهمّ الكتب الّتي ألّفت في مجال مقارنة الأديان، وهو كتاب"تحفة الأر يب في الرّدّ على أهل الصّليب للقسّ"إنسيلم تورميدا" المعروف بعبد الله التّرجمان.

وقد حرصت فيه على أن أصف الكتاب وصفًا شاملاً وأعرض بالمعنى بعض أجزائه نظرًا لطبيعة البحث على أن يشمل الوصف تقديم سيرة ذاتية لمؤلّفه وبيان سبب توبته وتأليفه لهذا الكتاب كما بيّنه هو بنفسه في كتابه، وقسّمته إلى مقدّمة وثلاثة مباحث: المبحث الأوّل في ترجمة المؤلّف ووصف كتابه، والمبحث الثّاني: في محتوى الكتاب، والمبحث الأخير: في رسائل الكتاب ويمثّل هذا المبحث خاتمة البحث ونتائجه.

وقد آثرت فيه إبقاء العزو إلى الأناجيل الأربعة على الصّيغة الّتي أوردها المؤلّف في كتابه فقط؛ أي ذكر المرجع وعدد الصّفحات بالحروف بدل الأرقام.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون عملا مقبولا ومحقّقا للهدف الّذي أنجز فيه، والكمال كلّه لله.

مشكلة البحث: نشأت في بيئة اجتماعية تشهد اختلاطا عميقًا بين المسيحيّين والمسلمين، ولا غرو فإنّ الدّولة تعترف بكلا الدّينين على السّواء، كما أنّ النّاس في مختلف الأسر قد توزّعوا ما بين مسيحيّ ومسلم ممّا يجعل بناء جدار فاصل بين معتقدي هذين الدّينين صعبًا، لكن شيئًا يلفت الأنظار، وهو أنّ هذا الاختلاط بعث في الآونة الأخيرة كثيرا من الدّعاة إلى التّناطح فيما بينهم، بين من يدّعي الحكمة والانفتاحيّة مع أصحاب الأديان الأخرى، ومن يتّهم الآخر بالمؤامرة مع النّصارى لإضعاف الإسلام.

ونظرًا لأنّ الموضوع قديم متجدّد يضرب بجذوره إلى فترة دخول طغاة فرنسا إلى بلادنا واستباحتهم لكلّ مقدّساتها سواء ما كان منها وثنيّة تقليديّة أو إسلاميّة رسميّة، ومع انتشار أسباب التّواصل وتقارب مختلف دول العالم ممّا ساعدني على اكتشاف صورة التّعايش بين المسلمين والمسيحيّين في بعض البلاد العربيّة الّتي يفترض أنّها إسلاميّة لكون الأغلبيّة مسلمين، وما ساعدني ذلك للوقوف على مختلف المناظرات الدّينيّة بين المسيحيّ والمسلم، وأسمع مختلف المساجلات في هذا الباب من كلّ الأطراف، واستشعارًا بمسؤولية لا أشكّ أنّني سأكون ممّن يتحمّلونها في المستقبل في بلادي، وبمساعدة المبادرات المباركة الّتي بدأها الشّباب من دارسي الفرنسيّة حديثًا من المناظرات مع المسيحيّين وإفحامهم بالأدلّة القرآنيّة والإنجيليّة... فإنّي رأيت أنّه لا محالة من الإسهام في البحث والإعداد لمواجهة التّحدّيّات القائمة ضدّ هذا الدّين الحنيف، دين الإسلام الّذي نعتزّ به ونتمنّى دخول النّاس فيه أفواجًا، وإن كان المجال ليس مجال اختصاصي. فلمّا وقفت على قصّة هذا الكتاب من خلال خاطرة قصيرة للشّيخ عثمان الخميس في اليوتيوب، لم أتمالك حتّى بحثته وقرأته مع اختصار كلّ موضوعاته، فعلت ذلك تكوينًا لنفسي وإعدادا لها ضمن عدد غير قليل من الكتب ذات الصّلة الّتي قرأتها، ثمّ رأيت أن أنشر الاختصارات الّتي قمت بها لهذه الكتب بهذه الطّريقة.

وقد قسّمته إلى: مقدّمة وثلاثة مباحث، وخاتمة. المبحث الأوّل: في ترجمة المؤلّف وكتابه. المبحث الثّاني في محتوى الكتاب، المبحث الثّالث: خاتمة وبيان رسائل الكتاب.

وقد آثرت فيه إبقاء العزو إلى الأناجيل الأربعة على الصّيغة الّتي أوردها المؤلّف في كتابه فقط؛ أي ذكر المرجع وعدد الصّفحات بالحروف بدل الأرقام.

أسئلة البحث:

1. ما هو محتوى كتاب تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب؟
2. ما الرّسائل الدّينيّة الّتي يمكننا أن نجدها من خلال هذا الكتاب؟

أهداف البحث:

1. وصف محتوى كتاب تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب.
2. الوقوف على الرّسائل الدّينيّة الّتي يمكننا أن نجدها من خلال هذا الكتاب.

المبحث الأوّل/ عبد الله التّرجمان وكتابه (تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب):

المطلب الأوّل/ سيرة عبد الله التّرجمان وبيان سبب خروجه من الميسحيّة إلى الإسلام:

المؤلّف هو عبد الله بن عبد الله التّرجمان، ولد في مدينة (ميورقة) بالأندلس، وكان اسمه قبل إسلامه : إنسيلم تورميدا، وهو ابن أبيه الوحيد في حياته، وقد كان أبوه من أكابر منطقتهم ميورقة، فأرسله منذ صغره وهو ابن ستّ سنين إلى أحد العلماء القسّيسين فدرس على يده الإنجيل وحفظ شطره في مدّة لم تتجاوز سنتين، ثمّ أخذ يتعلّم لغة الإنجيل وعلم المنطق بعد ذلك ستّ سنين، ثمّ خرج من تلك المنطقة إلى منطقة أخرى تسمّى (لاردة)، حيث يجتمع عدد كبير من الطلاّب يتراوح ما بين ألف وألف وخمسمائة على يد عالم قسّيس واحد، حيث درس العلاّمة علم الطّبيعة والتّنجيم ستّ سنين، ثمّ الإنجيل ولغته أربع سنين، لينتقل بعد ذلك من تلك المنطقة إلى المنطقة الّتي حصلت بها قصّة توبته؛ وهي مدينة (بانولية)، حيث لازم فيها أعلم علماء القساوسة في ذلك الزّمان وخدمه أكثر من غيره، كما استفاد خلال ذلك بالعلم أكثر من جميع طلاّبه الآخرين، واسمه (نقلاد مرتيل).

فقد لازمه المؤلّف لمدّة عشر سنوات، حتّى وثق به، وجعل في يده مفاتيح بيته إلاّ مفتاح غرفة واحدة كان يخلو فيها بعض الأوقات، وقد كان من دلائل عظمة شأن هذا الأستاذ أن كان كلّ المسائل

العلميّة في زمانه تنقل إليه من قبل الملوك والسّلاطين مصحوبة بالهدايا الكثيرة، فيفتي لهم فيها ويتشرّفون بقبوله لعطيّاتهم، وكان يجتمع عليه كلّ قساوسة ذلك الزّمان فيلقي لهم الدّروس، حتّى مرض يومًا ولم يستطع الخروج إلى درسه، فخرج تلميذه –عبد الله التّرجمان– إلى زملائه من القساوسة فتذاكروا فيما بينهم بعض دروسهم، وتناقشوا بعض القضايا فيها، حتّى وصلوا إلى قضيّة لم يتّفقوا عليها في شيء ولم يهتدوا فيها إلى حقيقة، وهي أنّ عيسى عليه السّلام لمّا كان يُرفع إلى السّماء بشّر قومه بخليفة يأتي من بعده اسمه (البارقليط) "أحمد"، فتناقشوا حول من يكون البارقليط، فلمّا رجع عبد الله التّرجمان إلى أستاذه سأله عمّا جرى بينهم في مذاكراتهم، فذكر له ذلك النّقاش وذكر لكلّ صاحب رأي في الموقف رأيه، حتّى فرغ من ذكر كلّ الآراء فقال له أستاذه نقلاد مرتيل، إنّ أحدًا منكم لا يستطيع أن يصل إلى معرفة هذه الحقيقة لأنّها مجال الرّاسخين في العلم وأنتم لم يحصل لكم من العلم حتّى الآن إلاّ قليلاً، فناشده عبد الله التّرجمان بربّه وبحقّ ملازمته له عشر سنين وخدمته له، أن يكمّل له العلم بهذا السّرّ النّادر، فبكى أستاذه، وقال له: إنّ البارقليط هو محمّد صلّى الله عليه وسلّم نبيّ الإسلام، وهو الّذي سيسود دينه آخر الزّمان، وينقذ على يده كلّ من دخل فيه، فقال له التّلميذ، فما تقول في المسيحيّة؟ فقال: لو أنّ المسيحيّين بقوا على دين عيسى لنجوا وأفلحوا لكنّهم انحرفوا وضلّوا عن حقيقته، فقال له التّلميذ، لكن العاقل لا يختار لنفسه إلاّ أفضل الأشياء فلم عرفت هذه الحقيقة ولم تدخل في الإسلام؟ فقال له شيخه: إنّه لم يعرف هذه الحقيقة إلاّ في أواخر عمره؛ حين ضعف عظمه ولم يعد يستطيع أن يفعل شيئًا؛ فإن هو أظهر ذلك للنّاس قتلته عامّة النّصارى، وإن هو خرج إلى المسلمين لم يروا له فضلاً في اعتناقه للإسلام، لأنّهم سيقولوا إنّه دخل في دين الحقّ فأنجا نفسَه، ولن يقدّروه كما كان يجد من التّقدير عند النّصارى ولن يجد منهم ما يجده من الأموال عندهم.

ثمّ قال للتّلميذ ناصحًا عندما طلب منه رأيه فيم يفعل هو نفسه بعد علمه بتلك الحقيقة: إنّك شابّ في ريعان شبابك ولا شكّ أنّ دخولك في هذا الدّين سينفعك في الدّنيا والآخرة فإنّي لو علمتها– الحقيقة– وأنا في عمرك لفعلت ما آمرك به، على أنّ عليك الحذر في ذلك أن لا يعلمه عامّة النّصارى فيقتلوك، فإن فعلت واضطُرِرت في النّهاية أن تذكرني عند شهادتك كذّبتك، وأنت تعلم أنّي عندهم مصدَّق

عليك، فعاهده التّلميذ أن لا يتفوّه بهذا السّرّ لأحد في حياته ثمّ استأذن منه ليخرج إلى بلاد المسلمين للتّوبة فجهّزه بخمسمائة دينار ذهبًا، فخرج عبد الله ورجع إلى بلده ميورقة وأقام فيه ستّة أشهر، ثمّ خرج إلى صقليّة وأقام فيها خمسة أشهر ينتظر السّفن الّتي تتّجه إلى بلاد المسلمين، حتّى كان له ذلك فانطلق إلى تونس، حيث استقبله أحبار النّصارى وأكرموه وأحسنوا ضيافته لعلمهم بفضله عندهم وعظمته عليهم وهم جاهلون بنيّته، حتّى أمضى عندهم أربعة أشهر، ثمّ سأل عن بيت ترجمان الملك فدُلّ عليه، فأتاه فحكى له قصّته وبيّن له ما ينويه، ففرح كثيرًا، ثمّ أتى به إلى خليفة المسلمين أبي العبّاس أحمد فاستأذن عليه فأذن له، فأتاه فحكى له كلّ قصّته كما حكى للتّرجمان ففرح الأمير كذلك، ثمّ قال لهم عبد الله التّرجمان، إنّ الإنسان عندما يغيّر دينه ستكثر عليه الأقوال من أهل الدّين الأوّل الّذي كان فيه، فليرسل إلى النّصارى فليحضروا كلّهم فيسألهم عن فضل عبد الله التّرجمان عندهم، فأجاب لطلبه الخليفة، وقال له: إنّك تفعل ما فعله عبد الله بن سلام لمّا أراد الدّخول في الإسلام، فنادى جميع النّصارى إلى بيته فاجتمعوا ثمّ سألهم عن رتبة عبد الله التّرجمان عندهم، فقالوا : إنّه من أعلم علمائنا وأعظمهم، وأنّه ليس له مثيل في زمنهم، فسألهم وهل تصدّقون أنّه يدخل في دين الإسلام إذا قيل لكم ذلك؟ فقالوا: نعوذ بالله من ذلك، إنّه لن يفعل ذلك أبدًا، فلمّا سمع أمير المؤمنين منهم ذلك الكلام أرسل إلى عبد الله التّرجمان- وكان جعله في غرفة قريبة من مكان حديثهم- فخرج وأعلن شهادته ودخوله إلى الإسلام، فكبّت النّصارى على وجوههم، وقالوا: ما حمله على ذلك إلاّ الرّغبة في الزّواج لأنّ القسّيس عندهم لا يتزوّج (ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: -37-49).

تعقيب: إنّ ما ورد في قصّة عبد الله التّرجمان بعد توبته من موقف النّصارى تجاهه، بعد أن كانوا يمجّدونه، لدليل واضح بأنّ الصّورة الإيجابية الّتي حظي بها النّصارى في النّصّ القرآني، في سياق مقارنتهم باليهود والمشركين"ولتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّ نصارى"، أخذت تذوب شيئًا فشيئًا حتّى استحال النّصارى في سلوكهم مثل اليهود تمامًا، فكما أنّ عبد الله بن سلام كان موقّرًا عظيمًا لدى اليهود قبل إسلامه بتصريح من اليهود أنفسهم أمام الرّسول صلى الله عليه وسلّم، ثمّ انقلبوا فجأة يقولون فيه عكس ما كانوا يقولون فيه(ينظر، الذّهبي. سير أعلام النّبلاء، ج2، ص414)، كان النّصارى أيضًا

يمدحون عبد الله التّرجمان ويؤكّدون لأمير المؤمنين أنّه سيّد من أكبر ساداتهم، ثمّ لمّا أسلم انقلبوا فجأة يلعنونه ويحاولون تشويه صورته بأنّه إنّما أسلم من أجل الزّواج.

المطلب الثّاني/ كتاب تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب تأليفه وتقسيماته:

ذكر العلاّمة عبد الله التّرجمان أنّ دافعه إلى تأليف هذا الكتاب، هو أنّه لمّا تاب إلى الإسلام وقرأ كتب الكثير من العلماء في الاحجتاج على أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، وجد معظمها –على كثرة فوائدها وأهمّيّتها في بابها– لا تنطلق في الرّدّ عليهم بمقتضى المنقول، بل اكتفى كلّهم بالاحتجاج عليهم بالأدلّة العقليّة إلاّ الحافظ ابن حزم فقط انفرد في ذلك الباب فردّ عليهم بالمعقول والمنقول، فلمّا رأى المؤلّف ذلك شدّ عن ساق الجدّ ليقدّم هذا الكتاب مزوّدًا بما لاحظه من نقص في هذا المجال، أملاً أن يصل وراء ذلك إلى عقد مقارنات عادلة بين الدّينين، فجعله يحتوي على أدلّة كثيرة منقولة من الكتب المسيحيّة المختلفة سواء ما كان منها من تأليف الأوائل الأربعة –وهي الأناجيل الأربعة– وما كان منها مؤلّفة من قبل قسّيسيهم(ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 31–33).

.

وقد احتوى الكتاب على ثلاثة فصول مركّزة جدًا، يشتمل الفصل الأوّل كلامًا عن خروج المؤلّف من الميسحيّة إلى الإسلام وسبب ذلك، وقبل ذلك بيانًا مختصرًا لنسب المؤلّف ونشأته وتنقّلاته في طلب العلم فيما بين (ميورقة، ولاردة، وبانولية) كما زاد في ذلك الفصل ما غمره من فضل أمير المؤمنين أبي العبّاس أحمد بعد توبته.

والفصل الثّاني يحتوي على ما اتّفق له أيّام ابن الأمير أبي فارس عبد العزيز، وجهوده المبذولة في نصرة الإسلام والمسلمين أيّامه.

ثمّ يأتي الفصل الثّالث في صُلب موضوع المؤلَّف- وهو الرّدّ على النّصارى في دينهم وبيان فساد عقائدهم، وثبوت نبوّة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بنصّ التّوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام- ويحتوي ذلك الفصل على تسعة أبواب.

وقد اهتممت في تلخيص الكتاب، بأبواب الفصل الأخير فقط منه، لإجابته المباشرة والمركّزة لعنوان الكتاب، أمّا الفصل الأوّل والثّاني من الكتاب فقد جعلت منهما تمهيدًا لهذا البحث؛ يلقي الضّوء على سيرة المؤلّف ويبيّن سبب تأليفه لهذا الكتاب، وركّزت في ذلك أكثر على معلومات الفصل الأوّل من الكتاب، وقليل من معلومات الفصل الثّاني، وذلك لأنّ الفصل الثّاني لا يتّصل اتّصالاً وثيقًا بموضوع الكتاب الحسّاس.

المبحث الثّاني: محتوى الكتاب:

كما سبقت الإشارة في المبحث الأوّل، فإنّ محتوى الكتاب الّذي يجيب وبشكل مباشر لعنوانه، هو الفصل الثّالث منه، وقد تناول هذا الفصل الرّدّ على النّصارى في دينهم وبيان فساد عقائدهم، وثبوت نبوّة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بنصّ التّوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام.

كما يحتوي هذا الفصل على تسعة أبواب، وقد حاول الباحث أن يعيد ترتيب هذه الأبواب وفق تقارب موضوعاتها وإن كانت في أصل الكتاب متباعدة، كما أنّ طبيعة البحث اقتضت أن يكتفي الباحث بعرض أربعة فقط من هذه الأبواب كنماذج، مع الإشارة إلى فحوى البقيّة في سطور قليلة.

المطلب الأوّل/ الأبواب المعروضة:

الباب الأوّل: في ذكر الأربعة الّذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم:

لقد كتب الإنجيلَ أربعةُ أشخاص ليس منهم من عايش عيسى عليه السّلام، ثمّ يأتي منهم في هذه الأناجيل أخبار ولادة عيسى وما حولها، وهم: **متى**، و**لوقا**، و**ماركوس**، و**يوحنّا**، وقد اختلفوا في هذه الأناجيل

اختلافًا كثيرًا جدًّا يدلّ على عظمة كذبهم على عيسى عليه السّلام وتحريفهم لكلام الله سبحانه وتعالى، فإنّ الإنجيل واحد، فإذا حصل هذا الاضطراب فيه فليس أدلّ على فساد ما هو عليه أهله من ذلك.

فأمّا **متى** فلم يدرك عيسى عليه السّلام إلاّ في اليوم الّذي رفع إلى السّماء، ثمّ يأتي في إنجيله يحكي قصّة مجوس من بلاد المشرق أتوا إلى بيت المقدس في عهد ملكهم رودوس بهديّة يسألونهم عن مولودهم الكريم–عيسى عليه السّلام– ليعطوها له، فاندهش الملك من هذا الخبر وأرسل يبحث عنه وأنّه سيعبده إذا عرفه وهو يكتم نيّة إرادته لقتله، حتّى أنجاه خبر الملائكة الّذين نزلوا على أمّه تأمرها بالهجرة به إلى مصر حتّى لا يُقتل، كما يروي فيه قصّة رؤيا المجوس الّتي فيها أمرهم بكتم خبره، مع أنّ بيت لحم –المنطقة الّتي ذكروا أنّها موطن ولادته– كانت قريبة جدًّا من بيت المقدس كان يقدر الملِك على النّزول بها في أقصر وقت مع من أرسلهم في البحث عنه من الإسرائيليّين.

وأمّا **لوقا**: فما أدرك عيسى أصلاً، بل نقل إنجيلَه من بولس الإسرائيلي وهو أيضًا لم ير عيسى، بل هو أكبر أعداء المسيحيّة؛ والّذي ادّعى أنّه تاب على يد **أنانيا** بأمر من عيسى عليه السّلام له عندما ظهر له شبح عيسى وهو سائر على الطّريق مع بعض أصحابه؛ حيث قال إنّ عيسى قال له في رؤيته تلك أن يترك ضرره، فقال له فكيف أضرّك وما رأيتك؟ فقال له عيسى ارفع ضررك عن أمّتي فإنّ ضررهم ضرري، ثمّ أمره عيسى أن يذهب إلى دمشق فيتوب عند ذلك المذكور "أنانيا".

وأمّا **ماركوس أو مركس**: فهو تلميذ أحد الحواريّين يدعى **"بترو"**، وقد خالف الثّلاثة كلّهم في أناجيلهم.

و**يوحنّا**: ابن خالة عيسى، ويدّعي النّصارى أنّ عيسى عليه السّلام أوصاه بأمّه عندما يُرفع إلى السّماء –مع أنّ يوحنّا نفسه لم يذكر ذلك في إنجيله– وأنّ في عرسه ظهرت أولى معجزات عيسى عليه السّلام وهي تحويله الماء إلى خمر، حتّى اندهش من ذلك يوحنّا فترك زوجته ليتّبع عيسى (ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 65–73).

الباب الثّاني: في اختلاف الأربعة الّذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم.

لقد اختلف الّذين كتبوا الأناجيل الأربعة اختلافًا كبيرًا في أمور كثيرة ممّا يؤكّد كون العقائد الّتي يدعون إليها اختلاقات من عند أنفسهم لا تمتّ بصلة إلى ما أنزل الله ولا إلى رسوله، قال تعالى: **أُأبزبم**بنبىبيبرتنز **تم**تنتىتيثرثزثمثنَّ النساء: ٨٢.

فممّا اختلفوا فيه:

1- قضيّة رؤية الله وعدمها: فقد جاء في إنجيل يوحنّا الفصل الخامس، أنّ المسيح قال لليهود: " إنّ أبي الّذي أرسلني هو يشهد لي، ولا سمع أحد قطّ صوته ولا رآه"، بينما يقول متّى في الفصل السّابع عشر من إنجيله، ووافقه مرقس في الفصل التّاسع من إنجيله " إنّ المسيح طلع على جبل طابور ومعه بترو وحفصو، ويوحنّا الحواريّون فلمّا استقرّوا فوق الجبل إذ بوجه المسيح يضيء كأنّه قمر أو شمس، فما قدروا ينظرون إليه، وسمعوا صوت الآب يقول هذا ولدي الّذي اصطفيته لنفسي، اسمعوا منه وآمنوا به".

كما نقض يوحنّا نفسَه في نفس الإنجيل في الفصل الرّابع عشر فقال: " إنّ المسيح قال للحواريّين: أنتم رأيتم أبي وعرفتموه، فقال له فليبوا الحواريّ: ياسيديّ كيف رأينا الآب؟ فقال له المسيح: يا فليبوا لي معكم كثير، وعرفتموني يا فليبوا من رآني فقد رأى أبي".

2- قضيّة تنبّؤ عيسى لخيانة أحد تلاميذه له بين أن يكون سمّى الخائن باسمه أو عرّض فقط-مع أنّه لم يتكرّر منه هذا القول في مجالس أخرى حتّى يزعمون أنّه اختلفت عبارته فيها- فقد أكّد يوحنّا في الفصل الثّالث عشر من إنجيله أنّ المسيح ذكر اسم الخائن وهو "يهودا إسكريوط، وأنّه هو الّذي خانه فعلاً ؛ بينما خالفه في ذلك مرقس فقال في الفصل الرّابع عشر من إنجيله، إنّ المسيح قال: "إنّ الّذي يصبغ خبزه معي في القصعة هو الّذي يخونني"، وقال متى في الفصل السّادس والعشرين من إنجيله إنّه قال لهم: "إنّ الّذي يصبغ خبزه في صحفتي هو الّذي يخونني"، ويقول لوقا في الفصل الثّاني والعشرين من إنجيله: "إنّ الّذي يخونني معي في تلاميذي".

3- قصّة فتحه لعين المكفوف لما خرج من بلد جريكو"أريحا" بين أن يكون وحده أو معه مكفوف آخر؛ مع أنّ عيسى لم يمرّ بتلك البلدة مرّتين حتّى يُحتمل تكرار الفعل منه بصور مختلفة: فقد ذكر متى في الفصل العشرين من إنجيله أنّه لما خرج من البلد المذكور ناداه مكفوفان فقالا "يابن داود ارحمنا" ففتح أعينهما، بينما ذكر مرقس في الفصل العاشر من إنجيله أنّ الّذي ناداه مكفوف واحد فقط. يضاف إلى هذا الاختلاف البيّن المكذّب لادعاءاتهم، كون المكفوفين المذكورين ناديا المسيح فنسباه لذريّة داود ممّا يؤكّد على أنّ عيسى بشر معلوم نسله وليس بإله كما يزعمون.

4- قضيّة شتم اللّصّين للمسيح الَّلذَيْن صُلبا معه –حسب زعمهم- بين أن يكونا كليهما فَعَلا ذلك أو أن يكون واحد منهما فقط هو الّذي فعل ذلك: فقد أكّد متى في الفصل السّابع والعشرين من إنجيله أنّ كليهما شتما المسيح فأوجب عليهما النّار بذلك، وخالفه لوقا في ذلك فبيّن في الفصل الثّالث والعشرين من إنجيله، أنّ الّذي شتم المسيح واحد فقط من الاثنين فكان يمنعه من ذلك زميله، ثمّ سأل ذلك الزّميل المسيحَ أن يذكره يوم مجيئه من ملكوته فوعده المسيح أنّه سيكون بجواره في جنّة الفردوس.

5- قصّة سؤال تلاميذ يوحنّا أو الفريزيّين للمسيح عن سبب صومهم وعدم صوم تلاميذ المسيح أو الفريزيّين: فقد ذكر متى في الفصل التّاسع من إنجيله أنّ تلاميذ يوحنّا قالوا للمسيح: لأي شيء نصوم نحن ويصوم الفريزيّون وتلاميذك لا يصومون؟"، بينما يقول مرقس في الفصل الثّاني من إنجيله: " إنّ طائفة الكتّاب والفريزيّين قالوا للمسيح، لأي شيء يصوم تلاميذ يوحنّا وتلاميذك يأكلون ويشربون ولا يصومون؟"، فجعل الأوّل من الصّائمين الفريزيّين، والسّائلون هم فقط طلاّب يوحنّا، بينما ذكر الثّاني أنّ السّائلين طائفة الكتّاب والفريزيّين.

وغير هذه من القضايا الّتي اختلفوا فيها اختلافًا بيّنًا يؤكّد كون هذه العقيدة الّتي تقوم عليها دينهم محرّفة ومصنوعة من أيدي بشر؛ مثل مسألة ركوب المسيح الدّابّة أو ابنها عند دخول بيت المقدس؛ فقد جاء من النّصّ الّذي أورده متّى –في الفصل الحادي والعشرين من إنجيله-، ولوقا في الفصل التّاسع عشر

من إنجيله- ما يؤكّد ركوب المسيح الدّابّة نفسها، بينما جاء عند يوحنّا ومرقس ما يؤكّد ركبوبه لابن الدّابّة. (ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 114-124).

الباب الثّالث: في افتراق النّصارى على مذاهبهم وبيان عدد فرقهم: ذكر صاحب الكتاب أنّ عدد فرق النّصارى تصل اثنين وسبعين فرقة، ثمّ ذكر اثنتين فقط منها حرصًا على تقليص حجم الكتاب، وقد علّق محقّق الكتاب على تقريره ذلك، بأنّه انفرد في هذا القول من النّصارى لأنّه لم يقل به أحد من علمائهم، وربما اعتمد في ذلك على حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم:"افترقت اليهود على إحدى أو ثِنتين وسبعين فرقة، وتفرّقت النّصارى إحدى أو ثِنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة"(أبوداو، ج4. ص:323، رقم الحديث: 4596).

أمّا الفرقة الأولى الّتي ذكرها المؤلّف من هذه الفرق فهي: من يعتقد بأن عيسى عليه السّلام هو الله الخالق البارئ الّذي بيده ملكوت السّموات والأرض، وقد كذّبهم المؤلّف بأدلّة كثيرة من أناجيلهم، فمنها ما جاء في إنجيل متّى الفصل السّادس والعشرين، أنّ عيسى قال للحواريّين قبل اللّيلة الّتي أخذه فيها اليهود، : " قد تغاشيت من كرب الموت، ثمّ اشتدّ حزنه وتغيّر وخرّ على وجهه وهو يبكي ويتضرّع إلى الله تعالى ويقول: يا إلهي إن أمكن صرف كأس المنيّة فاصرفها، ولا يكون ما أشاء أنا بل ما تشاء أنت"، وفي هذا النّصّ من الازدراء بشأن عيسى ما يهبط به من مقام الأنبياء أو الأولياء ناهيك عن مقام الألوهيّة الّتي يدّعونها له، ممّا يدلّ على كذب هذه المقولة أوّلاً، وكذلك كذب معتقد هذه الفرقة الضّالّة؛ أمّا الظّاهر منه المبدِّد لافترائهم بألوهيّة عيسى، قولهم على لسان عيسى بأنّه نادى الله عند كربه وقال: يا إلهي، فكيف يكون للإله إلهًا؟ وأمّا ما يخرج النّبيّ من عظمة النّبوّة ومقام الأولياء، ادّعاؤهم عليه بأنّه شكّ في قدرة الله فقال: "يا إلهي إن أمكن صرف كأس المنيّة" وهذا لا يليق بشخصيّة النبيّ وحاشا لله أن يكون عيسى هو ذاك الضّعيف المتحيّر أمام الموت الشّاكّ في الله سبحانه وتعالى.

ومن تلك الأدلّة أيضًا ما قاله يوحنّا في الفصل السّابع عشر من إنجيله: " إنّ المسيح رفع طرفه إلى السّماء وتضرّع إلى الله تعالى وهو يقول: يا ربّ أشكر لك استجابة دعائي، وأعترف لك بذلك، وأعلم أنّك في كلّ وقت تجيب دعائي، ولكن أسألك من أجل هؤلاء الجماعة الحاضرين، فإنّهم لا يؤمنون أنّك أرسلتني".

ومن ذلك أيضًا ما جاء في الفصل الخامس والعشرين من نفس الإنجيل: "أنّ اليهود قالوا: يا عيسى من يشهد لك بما تقول؟ فقال: الرّبّ الّذي أرسلني هو الّذي يشهد لي".

أمّا الفرقة الثّانية، فهي الّتي تعتقد أنّ عيسى عليه السّلام ابن الله، وأنّه إله وإنسان في نفس الوقت؛ فهو إله من جهة أبيه، وإنسان من جهة أمّه، وأنّ اليهود قتلوا إنسانيّته، وأنّه بعد دخول جسد إنسانيّته القبر، نزلت ألوهيّته إلى جهنّم، وأخرج منها آدم ونوحًا وإبراهيم، وجميع الأنبياء، وأنّ جميعهم كانوا فيها بخطيئة أبيهم آدم في الأكل من الشّجرة، وأنّهم جميعًا صعدوا إلى السّماء في صحبة الألوهيّة بعد اجتماع لاهوتة بناسوتة.

وقد ردّ عليهم المؤلّف بأنّ مرقس قال في الفصل الثّاني عشر من إنجيله:" إنّ عيسى قال للحواريّين: اعلموا واعتقدوا أن أباكم السّماوي الّذي في السّماء —ويقصدون بذلك الله سبحانه وتعالى- هو واحد فرد لم يلد ولم يولد"، فليس أكذب على ادّعائهم من هذا الدّليل البيّن على لسان عيسى نفسه عليه الصّلاة والسّلام (ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 74-78).

الباب الرّابع: في فساد قواعد دين النّصارى والرّدّ عليهم في كلّ قاعدة منها بنصّ أناجيلهم.

تقوم النّصرانيّة على خمس قواعد، وهي: التّغطيس، والإيمان بالتّثليث، واعتقاد التحام أقنوم الابن في بطن مريم، والقربان، والاعتراف للقسّيس بجميع الذّنوب.

1- أمّا التّغطيس: فصفته، أنّ في كلّ كنيسة حوضًا رخامًا وكيزانًا يملؤه القسّيس ماء ويقرأ عليه ما تيسّر من الإنجيل، ويرمي عليه ملحًا كثيرًا وشيئًا من دهن البلسان، فإن أراد شخص أن يتغطّس ممّن تنصّر وهو

كبير السّنّ اجتمع له القسّيس مع بعض أعيان النّصارى –للشّهادة عليه بين يدي الله بالتّغطيس كما يزعمون– فيقول له القسّيس عند حوض الماء: يا هذا اعلم أنّ التّنصّر أن تعتقد أنّ الله ثالث ثلاثة، وتعتقد أنّك لا يمكن لك دخول الجنّة إلاّ بالتّغطيس، وأنّ ربّنا عيسى ابن الله، وأنّه التحم في بطن أمّه مريم فصار إنسانًا وإلهًا، فهو إله من جوهر أبيه وإنسان من جوهر أمّه، وأنّه صلب ومات وعاش، وصار حيًّا بعد ثلاثة أيّام من دفنه، وصعد إلى السّماء وجلس عن يمين أبيه، ويوم القيامة هو الّذي يحكم بين الخلق، وأنّك آمنت بكلّ ما يؤمن به أهل الكنيسة، فهل آمنت بهذا كلّه، فيقول المتنصّر: نعم، فيسكب القسّيس صحفة من ماء ذلك الحوض عليه، وهو يقول له: وأنا أغطسك باسم الأب والابن والرّوح القدس، ثمّ يمسح الماء عنه بمنديل وينصرف وقد دخل دين النّصارى، وأمّا إن كان المتنصّر طفلاً، يجيب عنه أبواه بعد ذكر القسّيس كلّ ما سبق، ثمّ يسكب عليه الماء.

وكما في نصّ كلامهم فإنّ من معتقداتهم أنّ من لم يتغطّس لا يدخل الجنّة، وهنا يردّ عليهم صاحب الكتاب بأنّ جميع الأنبياء مثل إبراهيم وموسى ودانيال وغيرهم، لم يتغطّسوا لكنّهم دخلوا الجنّة، وهم مقرّون بذلك، ويردّون على ذلك بقولهم إنّهم كفاهم الختان عن التّغطيس، فيردّ عليهم بأنّ آدم ونوحًا وذرّيّته من صلبه لم يختتنوا، فهنا لن يكون لهم أيّ جواب، وقد اختلقوا هذه القاعدة كذبًا وافتراء على الله، وجميعهم يعتمدون في هذا الافتراء على ما ورد في إنجيل لوقا، أنّ عيسى قال: " من تغطّس دخل الجنّة ومن لم يتغطّس دخل جهنّم خالدًا فيها".

ومن حيل القسّيسين اللّعب بعقول عامّة النّصارى بجعل الملح الكثير ودهن البلسان في حوض الماء الّذي يتغطّسون منه، ممّا يبقيه طويلاً لا يفسد ولا ينتن فيظنّون أنّ ذلك من بركته، وهم جاهلون أنّ السّبب هو الملح والدّهن، ثمّ إنّهم يختفّون جدًّا فيضعون هذا الملح والدّهن في اللّيل حين غفلة من النّاس، وقد أكّد صاحب الكتاب أنّه فعل ذلك طويلاً مع النّاس قبل أن يكون مسلمًا بفضل الله.

2– وأمّا الإيمان بالتّثليث: –وحسب اعتقادهم هذه القاعدة أيضًا من لوازم دخول الجنّة، ومن لم يعتقد بها لم يدخلها– فحقيقتها عندهم: أنّهم يوجبون على كلّ نصرانيّ الاعتقاد بأنّ الله ثالث ثلاثة، وأنّ عيسى

ابن الله، وأنّ له طبيعتان، لاهوتيّة وناسوتيّة، وأنّهما التحما في بطن مريم فصارا شيئًا وحدًا، فأصبح اللّاهوت إنسانًا محدثًا تامًّا مخلوقًا، وأصبح ناسوت إلهًا تامّاً خالقًا غير مخلوق، وعند بعضهم، يعني التّثليث: الاعتقاد بألوهيّة الله، وعيسى، ومريم.

وممّا ردّ به عليهم صاحب الكتاب في هذا، بيانه بأنّ هذا من الاعتقاد الغريب الّذي لا يُسلِّم له حتّى عقول الصّبيان ناهيك عن الكبار؛ فكيف أصبحا-الألوهيّة والبشريّة- شيئًا واحدًا ملتحمين التحامًا تامًّا ثمّ يفارق اللاّهوت النّاسوت-حسب اعتقادهم-يوم صُلبَ وعذّب بالأشواك وطعن بالرّماح وهو يبكي ويولول، ثمّ يذهب إلى جهنّم ليخرج الأنبياء من النّار ويعود إلى النّاسوتة بعد موته ودخوله القبر ثلاث أيّام، فما الّذي فرّق بينهما وهما قد كانا أصبحا شيئًا واحدًا؟ ثمّ إنّ القول بألوهيّة عيسى أو كونه ابن الله يلزم أن يكون يعلم كعلم الله ويقدر كقدرة الله، فلماذا لما سأله الحواريّون عن موعد القيامة-كما جاء في إنجيل مرقس الفصل الثّالث عشر- قال: إنّه لا يعلم موعدَه الملائكةُ ولايعلمه إلاّ الأبُ وحده —ويقصد به الله، وإذا كان له قدرة كقدرة الله فلماذا يتغيّر ويحزن ليلة أخذه اليهود للقتل، فكيف بإله أن يحزن أو يتغيّر ويبكي.

وممّا يشهد على كون عيسى له طبيعة واحدة خلافًا لاعتقادهم ما جاء في إنجيل متى الفصل الثّالث عشر" إنّ عيسى —عليه السّلام- لما انتقل إلى المدينة الّتي ولد بها استخفّ به النّاس، فقال: لا يُستخفّ بنبيّ إلاّ في مدينته"، وما جاء في قصص الحواريّين أنّ شمعون الصّفا- رئيس الحواريّين- قال لليهود لما نافقوا على عيسى-عليه السّلام: " يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي، إنّ المسيح ظهر لكم من عند الله بالقوّة والتّأييد والمعجزات الّتي أجراها الله تعالى على يديه وأنتم كفرتم به"، وشمعون الصّفا من أعظم الرّجال الّتي يتبرّك به النّصارى، وكتابه عندهم كالإنجيل، فهل هناك أوضح شهادة من شهادته هذه بأنّ عيسى إنّما هو رجل مؤيّد بمعجزات من الله، فيعني ذلك أنّه ليس هو الله ولا يملك قدرته، كما دلّ الدّليل السّابق قبل هذا بأنّ عيسى كان رجلاً نبيًّا من جملة الأنبياء يكذَّب ويصدَّق كما يفعل بغيره، والأنبياء ليس لهم إلاّ طبيعة واحدة آدميّة.

3– اعتقاد التحام أقنوم الابن في بطن مريم: وفحوى هذه القاعدة قد تبيّن ضمنًا خلال القواعد السّابقة؛ وهو اعتقادهم أنّ الله سبحانه وتعالى، قد عاقب أبناء آدم بالنّار بسبب ذنب أبيهم في الأكل من الشّجرة، ثّم حنّ عليهم بأن بعث ابنه فالحتم في بطن مريم بجسد عيسى فصار إنسانًا من قبل أمّه وإلهًا من قبل أبيه، وأنّه لم يتمكّن من إخراجهم من النّار إلاّ بعد موته حيث نزل إلى جهنّم فأخرج منها أبناء آدم وأبيهم من النّار.

وقد ردّ عليهم المؤلّف في ذلك بتجسيد مشكلة تصوّرهم الباعث إلى اتّخاذ عيسى إلهًا في خمسة تساؤلات، وهي:

أ. إمّا أن يكونوا جعلوا عيسى إلهًا أزليًّا أو مسكنًا للإله الأزليّ.
ب. أو أنّ عيسى نفسه هو الّذي قال ذلك عن نفسه أو أحد تلاميذه.
ت. أو أنّهم جعلوه إلهًا لأجل الآيات الخارقة الّتي ظهرت على يده.
ث. أو هو إله لكونه صعد إلى السّماء.
ج. أو لعجب مولده، لكونه ولد من دون أب.

فيردّ عليهم بأنّ عيسى لم يدّع لنفسه ألوهيّة أبدًا، فإن ادّعوا له ذلك فإنّ ما جاء في أناجيلهم –بغضّ النّظر عن كونها مختلقة– تنقض ادّعاءهم، فإنّ عيسى حسب إنجيل مرقس (الإصحاح 15، العدد 34) لما يموت رفع بصره إلى السّماء وقال إلهي إلهي لم خذلتني، فكيف يكون إلهًا يدعو إلهًا عندما يُقتل، وحاشا لنبيّ أن يكون صاحب الصّفة المذكورة عند الموت ناهيك عن إله، وفي الأدلّة السّابقة ما يكفي للتّأكيد على عبوديّة عيسى لله سبحانه وتعالى.

أمّا إن كان دليل ألوهيّته أنّه كان له المعجزات الخارقة، فقد كان لغيره من الأنبياء تلك المعجزات فيلزم عبادة عيسى بسبب هذه المعجزات عبادة أولائك الأنبياء كذلك؛ فإن كان إحياء الموتى، فقد أحيا نبيّ الله اليسع الموتى حيًا وميّتًا، ولا شكّ أنّ إحياء النّبيّ الميت بعد وفاة النّبيّ نفسه–وذلك لما أدخل الميت في قبره معه فعاد إلى الحياة– أكثر عجبًا من إحياء عيسى للأموات في فترة حياته فقط.

ونبيّ الله إلياس بارك في دقيق العجوز ودهنها فبقيا في قارورتها سبعة أعوام لم ينفدا، كما دعا الله سبحانه وتعالى أن يمسك المطر سبعة أعوام كذلك فتوقّف المطر لتلك المدّة.

وإن كان عيسى عليه السّلام مشى على الماء بدون غرق، فقد ضرب موسى عليه السّلام الماء بعصاه فانفلق فمشى فيه قومه حتّى انتهوا ثمّ أهلك الله فرعون وقومه بعدهم، وكذلك ضرب موسى بعصاه الحجر فانفجر منه اثنتا عشر عينًا فكان كلّ عين لقبيلة واحدة من أسباط يعقوب عليه السّلام.

وإن كانت المعجزة الباعثة إلى هذا الاعتقاد كون عيسى عليه السّلام أطعم من خمسة أرغفة خمسة آلاف شخص، فإنّ موسى عليه السّلام سأل الله سبحانه وتعالى فأطعم بني إسرائيل أربعين عامًا بالمنّ والسّلوى، وعددهم أزيد من ستّمائة ألف شخص.

وإن كان صعود عيسى إلى السّماء هو الدّاعي إلى اتّخاذه إلهًا، فقد صعد مثله إلياس عليه السّلام وكذلك إدريس عليه السّلام، فيلزم بذلك اتّخاذ كلّهم آلهة كما اتُّخذ عيسى إلهًا.

أمّا إن كان السّبب هو كونه ولد من دون أب، فأعجب من ذلك خلق آدم عليه السّلام من دون أب ولا أمّ، وأعجب من خلقهما جميعًا خلق الملائكة من دون أب ولا أمّ ولا مادّة ولا طينة، فكيف لم يكن آدم إلهًا بهذا التّفرّد من الوجود، ولم تكن الملائكة كذلك آلهة بتلك المعجزة في خلقهم؟!، ثمّ إنّ موسى أُعطي عشر آيات مختلفة فضرب بها أهل مصر، وهي: العصا، ونتن المياه، والضّفادع، والقمّل، وأنواع عديدة من العذاب، وإهلاك البهائم، والقروح، والبرد، والجرائد، والظّلمة الّتي غشيتهم ثلاثة أيّام ولياليها.

فدلّ كلّ ما سبق على فساد ما قامت عليه النّصرانيّة من الاعتقاد البارد السّخيف.

4– القربان: وصفته أنّ النّصارى يؤمنون بفطيرة خبزٍ إذا قَرأ عليها القسّيس أنّها تُعيد في ساعتها جسدَ عيسى، وبكأس خمر إذا قرأ عليه القسّيس أنّه يعيد دم عيسى، وهم يعتمدون في ذلك على ما جاء في إنجيل متّى : " إنّ عيسى جمع احواريّين يومًا قبل موته، وتناول خبزة وكسّرها، وناولهم كسرة لكلّ إنسان،

وقال لهم كلوا هذا جسمي، ثمّ ناولهم خمرًا وقال لهم اشربوا هذا دمي"، وقد خالف متّى يوحنّا من كتّاب الأناجيل في ذلك، وهو –يوحنّا– الّذي شهد رفع عيسى إلى السّماء ولم يقل هذا، ويقوله من لم يره، أفلا يدلّ ذلك ببساطة على كذب هؤلاء القوم فيما كتبوا ؟

وصورة القربان: أنّ لكلّ كنيسة قسّيس كبير يأتي في كلّ صباح بفطيرة خبز في منديل نظيف، وخمر في زجاجة، فيأمر بضرب النّاقوس، فيحضر النّصارى في الكنيسة صفوفًا، فيستقبل المشرق ويقرأ على الفطيرة النّصّ المذكور سابقًا من إنجيل متّى، ثمّ يسجد للفطيرة بعد انتهائه، ويريها لمن وراءه فيقعون كلّهم لها ساجدين، معتقدين أنّها أصبحت عيسى، ويفعل نفس الشّيء للخمر فيسجدون، ويقول في سجوده مخاطبًا الفطيرة: "أنت إله السّموات والأرض، أنت الّذي تجسّدت في بطن مريم، أنت ابن الله المولود قبل العوالم كلّها، أنت من أجل أن تخلصنا من أيدي الشّياطين، أنت الّذي جالس إلى يمين أبيك في السّماء، نسألك أن تغفر لي ولأمّتك الّتي خلّصتها بدمك".

ومن وجوه سخافة هذا الاعتقاد منطقيًّا، أنّ النّصارى يعتقدون أنّ الفطيرة وإن جزّئت آلاف المرّات يظلّ كلّ جزء منها جسد عيسى بطوله وعرضه وكلِّه لا بصورته، وهم يردّون على من يستنكر ذلك بأنّ المرآة صغيرة لكن تنعكس فيها صور البحار وأعاظم الموجودات وهي أكبر منها بكثير، فيقال لهم، لكنّ تلك صورها لا جواهرها وأنتم تعتقدون أنّ كلّ ما تحملونه بعد القراءة جوهر عيسى بطوله وعرضه لا صورته، وها هو عيسى الّذي هو جالس بيمين الله سبحانه وتعالى في السّماء يصبح في الأرض بكلّه أجزاءً بأيديكم، فأي عقل يسلم لهذا.

5– الاعتراف للقسّيس بجميع الذّنوب: في دين النّصارى لا يحظى أحدٌ أبدًا بغفران الّذنوب إذا أخفى منها ولو يسيرًا لم يقرّ بها أمام القسّيس فيغفرها له، فهم يعتقدون أنّ القسّيس يغفر كلّ الذّنوب بعد الإقرار بها، لكنّ مع ذلك فإنّ قليلاً جدًّا منهم يذهب فيقرّ بذلك لدى القسّيس إلاّ عند المرض حين يقرب أجله أو يخاف من الموت، فإنّه يبعث للقسّيس فيأتي فيقرّ له كلّ ذنبه، فيكتب له البراءة من النّار، فيأخذها ويجعلها عنده حتّى إذا مات دفن معه هذه البراءة وهم مطمئنّون أنّه يدخل الجنّة، وبهذه البراءة يُطَمْئن البابا

في روما- الّذي يعتقدون أنه خليفة عيسى في الأرض-كلَّ من كتب له بأنّه نجا من النّار ودخل الجنّة ويأخذ في مقابلها الأموال الطّائلة، وكذلك يفعل كلّ من ينوب عنه في جميع أنحاء العالم من القساوسة.

وقد بيّن صاحب الكتاب خلال تساؤل استنكاري لهم، عن من علّمهم هذا وهم يعلمون أنّ عيسى الّذي هو الإله عندهم والأكبر من البابوات والقساوسة عندهم، لم يفعل هذا أبدًا، ولا أحدٌ أقرّ بذنبه لديه من تلاميذه ليغفر له، فليس هذا إلاّ الشّرك الّذي أوعد الله أصحابه بأنه لن يغفره لهم ويغفر كلّ ما دونه من الذّنوب ﴿ يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح﴾ النساء: ٤٨ (ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 79-100).

المطلب الثّاني/ بقيّة أبواب الكتاب باختصار:

-الباب الخامس: في عقيدة شرائعهم الّتي يتعلّمها صغيرهم وكبيرهم، وهو أصل دينهم، والرّدّ عليهم بأصل أناجيلهم. وهذه العقيدة قد كتبها واحد من أكابرهم القدامى يسمّى بيطر، وكلّها متناقض بعضها ببعض، وقد ردّ عليهم المؤلّف ردودا قويّة يجدها من يقرأ الكتاب من الصّفحة مائة إلى مائة وأربعة.

(ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 100-104).

-الباب السّادس: في بيان أنّ عيسى عليه السّلام ليس بإله كما افترته النّصارى، بل هو نبيّ مرسل بنصّ أناجيلهم. وقد ردّ عليهم فيما يزيد عن سبع مسائل بأدلّة واضحة من الإنجيل، وأخرى عقليّة منطقيّة (ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 105-113).

الباب السّابع: فيما نسبوا إلى عيسى عليه السّلام من الكذب وهم الكاذبون.

وقد ذكر هنا افتراءات كثيرة اختلقها كتّاب الأناجيل ليس لها أصل لكن أصبح من ركائز دين النّصارى.

(ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 124-129)..

-الباب الثّامن: فيما يعيبه النّصارى على المسلمين أعزّهم الله. وقد ردّ عليهم المؤلّف بما يؤكّد تحريفهم للكتب واتّباعهم لأهوائهم، إذ أكثر ما يعيبون عليه المسملون مارسه أنبياء وصالحون أو أمروا به حسب أناجيلهم، ومن ذلك:

1- تزويج الأولياء من المسلمين بخلاف رهبان المسيحيّين الّذين يحرم عليهم الزّواج.

2- الختان: ويعيبون على المسلمين الختان، مع أنّ عيسى عليه السّلام كان مختونًا، ويوم ختانه عندهم عيد عظيم.

3- ويعيبون على المسلمين أيضًا اعتقادهم بأنّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون: لأنّ اعتقادهم-النّصارى- في ذلك هو أنّ في الجنّة لا يبول الإنسان ولا يتغوّط، والطّعام من لوازم ذلك.

4- اعتقاد المسلمين بأنّ في الجنّة قصور ويواقيت....

5- تسمية المسلمين بأسماء الأنبياء.... (ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 130-136).

-الباب التّاسع: في ثبوت نبوّة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بنصّ الزّبور والتّوراة والإنجيل وبشارة الأنبياء وما أخبروا به من صحّة بعثته وبقاء ملّته. وقد أورد في هذا السّياق أدلّة كثيرة من الإنجيل تثبت نبوّة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم (ينظر، عبد الله التّرجمان، ص: 137-144).

المبحث الثّالث/ الخاتمة والنّتائج (رسائل الكتاب):

1. تذكّرنا قصّة عبد الله التّرجمان بموقف تاريخيّ مهمّ، شبيه جدًّا إلى حدٍّ كبير من موقف النّصارى عنه لما علموا بإسلامه، وهو موقف توبة عبد الله بن سلّام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلّم، الّذي اعترف اليهود بأنفسهم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلّم، بأنّه أفضلهم ابن أفضلهم وأعلمهم ابن أعلمهم....، فلمّا خرج عليهم عبد الله بن سلام -وكان مختبئًا في مكان مختف قريب من مكانهم

بطلب منه ليؤكّد للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عناد قومه- فأعلن إسلامه، قالوا جميعًا وبشكل جماعيّ وبلا خجل: هو أجهلنا ابن أحهلنا، وأشقانا ابن أشقانا....وهذا يؤكّد قوله تعالى في حقّهم.

2. من خلال تصرّف أستاذ المؤلّف نستطيع أن نفهم شيئين قد يتناقضان في الظّاهر لكنّهما واقعين:

أ. الشّيء الأوّل هو تأكيد لقوله لمائدة: ٨٢، فهذا القسّيس مع عدم رغبته في الدّخول إلى دين الله، إلاّ أنّه يعترف بأنّه هو الدّين الحقّ الّذي بشّر به عيسى عليه السّلام.

ب. الشّيء الثّاني، هو أنّ حبّ الدّنيا والزّعامة، أفسدا على هذا القسّيس أخراه، وحملاه على أن يؤثر على الكذب والخداع لقومه، وهكذا هم حتّى يومنا هذا، غير أنّ العالِمين بهذه الحقيقة أيضًا ليسوا كلّهم، بل الصّفوة الصّفوة منهم.

3. الأدلّة المختلفة من الكتب المقدّسة الّتي عرضها المؤلّف تؤكّد لنا أنّ القوم يحلّون ويحرّمون وفق أهوائهم، فكثير ممّا حرّموه ويؤاخذون المسلمين عليه مارسه سلفهم قبلهم بشكل أكبر ممّا يمارسه المسلمون، مثل الزّواج، ففي الإسلام الحدّ الأقصى ممّن يجوز الزّواج بهنّ أربعة فقط، بينما وجد أنبياء تزوّجوا عشرات ومئات من النّساء حسب كتبهم، ومثل ذلك الختان.....

4. ممّا سبق تظهر أهمّية المناظرة مع النّصارى وبيان ضلالهم، ومساعدتهم على اكتشاف حقائق الدّين وتصحيح عقائدهم، فكثير منهم لو عرفوا الحقّ فلا شكّ أنّهم سيتبعوه، لكنّ رؤوسهم يصرفون بكلّ جهودهم عن الإصغاء لدعاة المسلمين.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبوداود. سليمان بن الأشعث، بن إسحاق بن بشير الأزدي السّجستاني. (1323هـ). *سنن أبي داود*. د. ط. المطبعة الأنصارية بدهلي. الهند.

3. الأسعد أبي الفرج هبة الله بن العسّال. (214م). *الأناجيل الأربعة*. ط1. مطبعة جي سي سنتر. القاهرة.
4. إنْسيلْمْ تُورْميدَا. المشهور بعبد الله التّرجمان. (د.ت) *تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب*. ط3. القاهرة: دار المعارف.
5. برتولومي دي لاس كازاس. (205). *المسيحيّة والسّيف*. ط2. المعهد الدّولي للدّراسات الإنسانيّة. بيروت: لبنان.
6. الذّهبي. شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذّهبي. (1985). *سير أعلام النّبلاء*. ط3. مؤسّسة الرّسالة. بيروت: لبنان.
7. صفيّ الرّحمن المباركفوري. (1431هـ). *الرّحيق المختوم*. ط1. دار الهلال. بيروت.